دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	موقف ثوري في علم النفس الأمريكي : فيتنام
المصدر:	مجلة الطليعة
الناشر:	مؤسسة الأهرام
المؤلف الرئيسي:	حفني، قدري
المجلد/العدد:	س 8, ع 1
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1972
الشهر:	يناير
الصفحات:	62 - 67
رقم MD:	388938
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	العلاج النفسي، علم النفس السياسي، علماء النفس، الولايات المتحدة الأمريكية، فيتنام، حرب فيتنام، الجنود الامريكان، الحركات الثورية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/388938

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

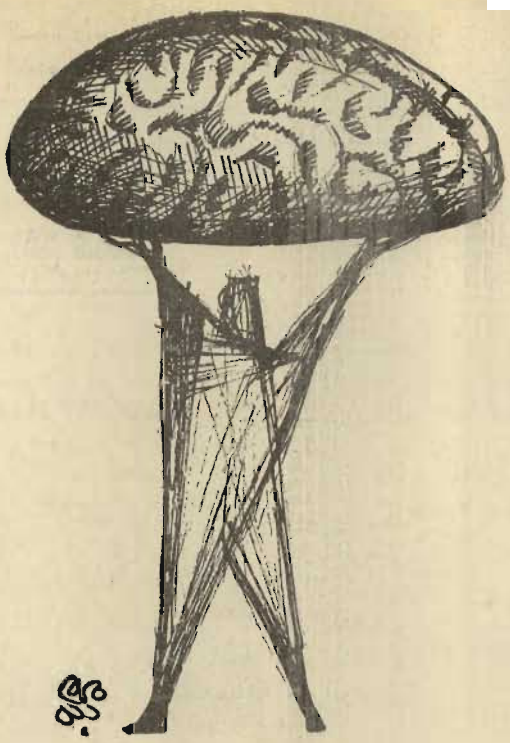

موقف ثورى فى علم النفس الأمريكى :

فيتنام

قدرى حفنى

يقوم العلم على التعميم ، والتعميم يقتضى بالضرورة تجاوزا عن الكثير من التفصيلات ، ولكن ذلك لا يعنى اهمالا للتفصيلات جميعا ، ومن هذا المنطلق بالتحديد تبرز مشكلة تواجه العلماء جميعا وعلماء الانسانيات على وجه الخصوص .. الى أى حد يجوز التعميم . والى أى حد ينبغى التخصيص .او بعبارة اخرى أى التفصيلات نأخذ وايهاندع . وقد يتفق العلماء جميعا على انه لابد وأن يولى قدر من الاعتبار للتفاصيل ، خاصةتلك التى تتناقض مع الخطالعام للتعميم العلمى حيال ظاهرة معينة باعتبار ان تلك التفصيلات بالتحديد تكون عادة بمثابة البدايات الاولى لتغير الظاهرة موضع البحث ، وبالتالى لتغير التعميمات العلمية الخاصة بها · قد نتفق على كل ذلك ولكنا كثيرا ما نغفل عنه او نتغافل خاصة اذا ما كنا بصدد ظاهرة تدخل فى نطاق العلوم الانسانية حيثتشعرنا التعميمات بدرجةقد تلهينا تماما عن ادراك الكثير من تفصيلات الظاهرة خاصة تلك التى تتعارض مع تعميماتنا المسبقة · وقد يرجع ذلك الاغفال او التغافل الى العديد من الاسباب : منها المتعلق بتاريخ العلوم الانسانية ذاتها ، ومنها المتعلق بطبيعة موضوعاتها وما تثيره احيانا من أحاسيس قومية أوشخصية .

ولقد كنت حتى اسابيع قليلة فى اسار أحاسيس من هذا النوع حيال علماء النفس الامريكيين المعاصرين · كنت اشعر بالاسى ـ ولا أقول بالخجل ـ وابناء مهنتى من علماء النفس الامريكيين يضعون معرفتهم بالانسان ، وهى معرفة على قدر كبير من التقدم التخصصى ، فى خدمة اهداف الامبريالية الامريكية سواء فى داخل الولايات المتحدة او خارجها · كان يبدو لى وكأنهم جميعا مشتركون فى هذا الموقف حتى أن الاستثناءات القليلة او الاستثناء الوحيد الذى اذكره فى هذا الصدد وهو ايريك فروم عالم النفس التقدمى الامريكى المعروف قد ترك مهنة علم النفس وتفرغ للنضال السياسى تماما · وكان كل ذلك امرا مفهوما لدى تماما · وان كان الفهم لا يحول دائما دون الاسى والخجل ·

وفى خضم تلك الاحاسيس كنت ذات يوم من ايام الشهر الماضى اتصفح المجلد الاخير من « **الملخصات السيكلوجية** » وهى مجلة شهرية تصدرها

الرابطة السيكلوجية الامريكية وتتضمن ملخصات لغالبية البحوث السيكلوجية المنشورة فى كافة انحاء العالم • واستوقف انتباهى عنوان لمقال نشره عالم نفسى امريكى فى صيف عام ١٩٦٩ هو **شسترو • فيورشتاين** وكان العنوان « **الحالة : الولايات المتحدة • المظهر المرضى : فيتنام** » • ولم يكن المؤلف من الاسماء المعروفة لى فى علم النفس الامريكى • كذلك فان المجلة لم تورد تلخيصا لذلك المقال مكتفية بالاشارة الى عنوانه •

وخطر للوهلة الاولى ان المقال لن يعدو أن يكون محاولة جديدة لتقديم مزيد من الخدمات السيكلوجية للسلطة الامريكية ، واعادت النظر فى العنوان • انه يتخذ الاسلوب الذى يتبعه الاطباء فى تسجيل المرضى الذين يعالجونهم • وخطر لى آنذاك أن المقال قد يكون جزءا من تلك اللعبة القديمة المستهلكة التى استخدمها — وما زال يستخدمها — علماء النفس الامريكيين وغيرهم بمحاولة تمييع كافة قضايا الصراع الاجتماعى والدولى وعلى راسها قضية الحرب بارجاعها الى أسباب سيكلوجية خالصة وبذلك يتحول « المعتدون » الى مرضى ينبغى معالجتهم بدلا من محاربتهم •

وحاولت — دون توقع لجديد — ان اختبر صحة ما انتهيت اليه فارسلت الى كاتب المقال أطلب نسخة من مقاله ، ولم يمض وقت طويل حتى تلقيت المقال مصحوبا بخطاب رقيق يطلب منى فيه أن ارسل له برأيى فى مقاله • وتحفزت وبدات القراءة فاذا بالمقال يبدأ هكذا :

« **يكفى أن يتحدث المرء الى مناضل زنجى من ابناء الجيتو ، أو الى طالب ثائر ، أو الى أحد المترددين على هيئات المعونات الخيرية ، أو الى أحد الرافضين لاداء الخدمة العسكرية ، لكى تتضح له ضآلة ما قدمه علم النفس لتلك القطاعات الكبيرة من أبناء امتنا • ترى اين كانت جهود علم النفس والعنصرية تتقفى لعشرات من السنين قبل صدور قرارات المحكمة العليا بشأن التفرقة العنصرية ؟ ترى ما طبيعة الدور الذى لعبه علم النفس من أجل محاربة الفقر ، والعنصرية ، والعسكرية ، ومن أجل اعادة ما اختل من تدريج للمصالح القومية حسب اهميتها ؟ ترى ماذا فى مقررات علم النفس التى نضعها ونقوم بتدريسها قد أدى الى مثل ذلك العجز عن التمكن من التأثير الفعال على المشكلات الاجتماعية المعاصرة الكبرى « ليست تلك سوى نماذج قليلة من تساؤلات عديدة تواجه علم النفس المعاصر » •**

« **ان علماء النفس لا يحتلون مكانة بارزة بين قادة التحرك من أجل تقوية ودعم النضال ضد تفشى الظلم الاجتماعى • بل انهم أكثر ميلا الى العمل والتعاون مع المؤسسات التعليمية غير الديمقراطية ، والنظم الاجتماعية المتعصبة عنصريا ، والسلطة النامية للتحالف الصناعى — العسكرى المعادى لتحالف الجماهير الشعبية ، دون وعى أو اهتمام كبير بما يتضمنه كل ذلك من ابعاد اجتماعية • ولعل الوقت لم يفتنا بعد ، ولعلنا ما زلنا نستطيع أن نتحرك لمجموعة من أجل تحسين الاستفادة بما لدينا من معرفة سيكلوجية بحيث تصبح تلك المعرفة أكثر صلاحية لتلبية كافة احتياجات المجتمع الملحة ، وبالتالى من أجل الكف عن تدعيم ومؤازرة تلك البرامج والممارسات التى تؤدى فى النهاية الى اهدار الانسانية أو مجافاة العمل سيكلوجيا أو أخلاقيا ، ولعلنا بذلك نستطيع ادراك دلالة آلاف الاجبارات القهرية التى تمارس فعاليتها داخل مجتمعنا المعاصر ، ثمانتا فى تقدير وفهم الاجبارات السيكلوجية التى تجرى داخل الفرد •**

وقبل أن أمضى فى قراءة المقال احسست بأن تحفزى آخذ فى الخفوت ، وانتى حيال لغة سيكلوجية جديدة غريبة تماما عما أعرفه عن علم النفس الامريكى • لغة تدعو علماء النفس الامريكيين الى ضرورة اتخاذ موقف ثورى حيال قضايا المجتمع • ووجه الغرابة أنها صادرة من عالم امريكى • ويمضى كاتب المقال مؤكدا دعوته مقررا ، ان علماء النفس لديهم بالفعل قدرا كبيرا من المعرفة بالاثار المدمرة للظلم والجور ، والمناخ غير الديموقراطى وما الى ذلك • صحيح أن تلك المعرفة قد لا تكون متوفرة بالقدر المأمول ، ولكنا نستطيع استخدامها الآن فى الاسهام فى السعى من اجل ارساء مجتمع عادل وانسانى » •

واضح اذن ان فيورشتاين لا يدعو علماء النفس الى اتخاذ موقف ثورى بوصفهم مواطنين فحسب ، بل أساسا بوصفهم علماء نفس • وتلك قضية هامة وخطيرة حقا • فهى تعنى أن علماء النفس بحكم تخصصهم وخلال ممارستهم لعملهم يتخذون بالضرورة موقفا ما من قضايا الصراع الاجتماعى فى مجتمعاتهم • وسواء كانوا على وعى بموقفهم هذا أو على غير وعى ، مدركين له أو متجاهلين اياه ، راغبين فى اتخاذه او عازفين عنه ، فهم يتخذونه بالفعل خلال ممارستهم لعملهم كمتخصصين فى علم النفس • ويبحث فيورشتاين عن مثال عملى يسوقه تدليلا على قضيته فاذا به يلتمسه من مجال العلاج النفسى • واهمية اختياره لذلك المجال بالتحديد لا ترجع فيما نرى الى كونه شخصيا أحد المشتغلين بالعلاج النفسى بقدر ما ترجع الى طبيعة الموقع الخاص الذى تشغله قضية العلاج فى مجال علم النفس • لقد وقر فى اذهان الكثيرين أن العلاج النفسى على تعدد مدارسه

وتختلفها أمر عملى » فى المقام الاول • يبدأ ، وينتهى ، ويدور حول محور واحد هو المريض ، شفاؤه أو عدم شفائه • ووفقا لهذا الفهم فانه اذا كان لنا أن « نقحم » القضايا الايديولوجية فى فرع كعلم النفس الاجتماعى مثلا فان تلك القضايا تبدو بعيدة كل البعد عن مجال العلاج النفسى • ويعرض فيورشتاين مثاله كما يلى : « ان الحاجة الى توافر فهم عام للمحيط الاجتماعى والاقتصادى وما يترتب على طبيعة ذلك المحيط من نتائج تعد أمرا لا غنى عنه بالنسبة للمعالجين النفسيين . وكمثال على مدى أهمية تلك القضية يمكن ان سوق ذلك التساؤل الذى أثاره بعض نقاد التحليل النفسى ومؤداه : الم يسهم المحللون النفسيون عمليا فى شل النشاط السياسى للعديد من المثقفين فى المانيا خلال بزوغ النازية ، وذلك بتناولهم للاخطار الاجتماعية الواقعية تماما فى ذلك الوقت من خلال نظريات وتفسيرات تتعلق بداخلية النفس وديناميا تها ؟ ان المعالج النفسى الامريكى الذى تعوزه اليقظة الاجتماعية يمكن ان يضع نفس الشىء بحجبه للتقييم الواقعى للحرب ، وللتهديد النووى ، وللعسكرية ، ولغير ذلك من الافات الاجتماعية كالعنصرية والتمييز الاجتماعى •• ان العلاج النفسى ليس كما كان يفترض بسذاجة فى البداية بعيد عن اتخاذ موقف قيمى أو أنه يتخذ موقفا محايدا من القيم ، بل انه فى الحقيقة جزء متكامل من سيكلوجية أشمل للضبط السلوكى أو التأثير السلوكى » •

ولا يفوت فيورشتاين أن يستمد من خبرته الشخصية كمعالج نفسى ما يدعم به وجهة نظره فى العلاج النفسى وموقعه من قضايا الصراع الاجتماعى • فيشير الى دراسة اجراها عام ١٩٦٥ بالاشتراك مع أحد زملائه اتضح فيها « انه اثناء تصاعد النذر ببدء مرحلة جديدة فى العدوان على فيتنام بالشروع فى قصف فيتنام الشمالية بالقنابل ، وما يسببه ذلك الموقف من تهديد بالغ الخطورة والواقعية ، فى ذلك الوقت لم نجد سوى قلة بالغة الضآلة من المرضى ، يشعرون انه من المناسب مناقشة مخاوفهم ، او همومهم حيال تلك الامور خلال علاجهم ، لقد قرر ١٦ مريضا فقط من بين ٣٩٩ مريضا انهم يشعرون بأهمية مثل تلك المناقشات ، رغم وجود ١٢٤ مريضا من بين هؤلاء يشعرون ان هناك احتمالا قويا بأن يؤدى تصاعد عمليات الولايات المتحدة فى فيتنام الى حرب نووية شاملة ! » .

الى هنا والامر لم يخرج فى تصورى عن كونه دعوة ثورية حقا ولكنها لابد وأن تكون دعوة فردية • مجرد وجهة نظر يسوقها ذلك العالم الامريكى او موقف شخصى يتخذه ولا يلتزم به سواه • مجرد استثناء من بين علماء النفس الامريكيين يمكن أن يضاف مثلا الى أريك فروم استثناءين بدلا من استثناءواحد . امر طيب حقا، ولكن ليس بالامر الخطير •

ولكن ما ان مضت بى القراءة حتى ادركت أن الامر أضخم واخطر من ذلك بكثير • ان فيورشتاين لا يعبر عن نفسه كفرد فحسب ، بل ان مقاله تعبير عن اتجاه منظم وعن حركة اجتماعية واضحة الخطوط محددة الاهداف • حركة لها تنظيمها الفعلى الذى يعبر عنها ، وهو « منظمة علماء النفس الامريكيين من اجل النضال الاجتماعى » ويعرف فيورشتاين هذه المنظمة بقوله :

« ان منظمة علماء النفس الامريكيين من أجل النضال الاجتماعى تعد تعبيرا عن محاولات علماء النفس الانطلاق من ذلك البرج العاجى الذى يفرضه انعزالهم نسبيا أو كليا عن مجال احتياجات المجتمع المتصارعة • وتهدف المنظمة الى تجميع علماء النفس الذين يشعرون بانه فى تلك الحقبة المضطربة الحاسمة بما تتضمنه من تهديدات واقعية تماما باندلاع الحرب النووية ، وبما تتضمنه من اتساع لنطاق الفقر ومن عنصرية ، ومن الاف الافات الاجتماعية ، فى تلك الحقبة ينبغى على علماء النفس أن يصنعوا شيئا أكثر من مجرد الوقوف عند حد الدراسة والتفكير • ان اعضاء تلك المنظمة التى تنمو بسرعة فائقة يشعرون أنه ينبغى علينا أن نبحث عن طرق لتطبيق معرفتنا وخبرتنا وهى على ماهى عليه من نقص فى اتجاه حل المشكلات الملحة لعصرنا •

ويمضى فيورشتاين بعد ذلك موضحا أنه فى ضوء اهداف المنظمة قام كل من هوارد جروير استاذ علم النفس فى مركز الدراسات المصرفية بجامعة روتجرز ، ونائب رئيس المنظمة، بالاتفاق مع أيشيل توباخ رئيسة فرع نيويورك من المنظمة بدعوة فروع المنظمة فى كافة انحاء الولايات المتحدة الى عقد وتنظيم مجموعة من المؤتمرات لبحث الجوانب السيكلوجية والاجتماعية المتعلقة بانهاء الحرب فى فيتنام • وقد وجهت الدعوة فى يناير عام ١٩٦٩ على أن تعقد تلك المؤتمرات فى يوم السبت الاول من مارس فى نفس العام • وقد اختير ذلك اليوم بالتحديد تدعيما لقرار بالاضراب المؤقت عن البحوث اتخذه عدد كبير من العلماء الاجتماعيين والطبيعيين من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا ، ومن جامعات يال وكورنل وغيرها احتجاجا على « سوء استخدام المعرفة » • وعلى « الاستخدام غير المسئول للبحث العلمى » ، وكان قد تحدد لذلك الاضراب يوم ٤ مارس وبالتالى فقد كان عقد المؤتمرات فى الاول من مارس تعبيرا من المنظمة عن تضامنها وتأييدها للاضراب •

ان تنظيم مؤتمر كبير فى نيويورك يضم العديد من الحلقات الدراسية ، والمناقشات العامة • فضلا عن توفير التيسيرات اللازمة لحضور عدد كبير من علماء وطلبة علم النفس ، ثم تنسيق كل تلك الجهود لم يكن بالامر اليسير بل كان « مغامرة بالغة الصعوبة » • ورغم ذلك ،فبعد مرور فترة لا تجاوز الشهر ، كان حجم وتشكيل المؤتمر المنعقد حدثا مذهلا من كافة النواحى • بل انه كان فى حد ذاته تعبيرا ملموسا عن مدى اهتمام وانشغال العديد من علماء النفس والمناضلين الاجتماعيين المساهمين فى المؤتمر بوسائل انهاء الحرب الوحشية الظالمة وتحقيق سلام انسانى وعادل • ويرى فيورشتاين أن برنامج المؤتمر يعد فى حد ذاته تشخيصا عاما لحالة الولايات المتحدة باعتبار أن مرضها هو فيتنام •

الحالة : الولايات المتحدة

المظهر المرضى : فيتنام

مكان انعقاد المؤتمر : المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية

فى اول مارس عام ١٩٦٩ •

جلسات المناقشة العامة :

خطاب رئيس فرع نيويورك لمنظمة علماء النفس من اجل النضال الاجتماعى ويتضمن ترحيبا بالحاضرين وعرضا موجزا لاهداف وغايات المؤتمر •

ندوة :

« حرب فيتنام المظهر المرضى الذى تعانى منه الولايات المتحدة » •

ندوة :

« النضالات من اجل التحرر : معناها ، ومشاكلها ، وفرص نجاحها »

الحلقات الدراسية :

١ ـ العنصرية •

٢ ـ العنف : موقف القمع الذى يتخذه القانون والنظام الاجتماعى •

٣ الفقر : كسبب ، وكمظهر مرضى •

٤ ـ الصحة العقلية والمرض العقلى •

٥ ـ القيم فى المجتمع الامريكى •

٦ ـ التربية فى مدارسنا

٧ ـ فيتنامات أخرى : اليونان مثلا

٨ ـ التمويل الحكومى للبحوث العلمية •

٩ ـ التجنيد العسكرى

١٠ ـ اتفاقيات السلام

١١ ـ حركات المقاومة

١٢ ـ الحريات المدنية

١٣ ـ الاسقباب القومية •

١٤ ـ تمرد الشباب

١٥ ـ الصراعات العنصرية

ويشير فيورشتاين الى أن أبواب المؤتمر كانت مفتوحة لكل المهتمين من علماء النفس بحيث كان فى استطاعة أية مجموعة من هؤلاء العلماء مهما كان اتجاهها الاجتماعى أن تشترك فى المؤتمر • ورغم ذلك فان الاتجاه السائد لدى كافة المجموعات التى حضرت المؤتمر كان يشير بوضوح الى ضرورة ايقاف الحرب الفيتنامية بأسرع وسيلة ممكنة ، والى أن تلك الحرب فى حد ذاتها انما تدل على حالة غير صحية ـ اذا لم تكن مرضية ـ يعانى منها مجتمع الولايات المتحدة •

ويمضى فيورشتاين فى نبرة لا تخلو من فخر واعتزاز مقررا « ان الذين تبنوا الدعوة الى عقد المؤتمرات عن فيتنام فى طول البلاد وعرضها انما يعبرون عن تزايد الاهتمامات الاجتماعية لعلماء النفس البارزين على نطاق الامة بأسرها • ومن بين قائمة تضم ٦٥ اسما نجد : هاريت بار من جامعة نيويورك ، ومارتن دويتش من جامعة نيويورك أيضا ، واريك اريكسون من جامعة هارفارد ، وجيروم ك • فرانك من جامعة جون هوبكنز ، وهربرت س كلمان من جامعة ميتشجان ، وكينيث كينستون من جامعة يال ، ودافيد كرتش من جامعة كاليفورنيا بيركلى ، وروبرت ج • ليفتون من جامعة يال ، وزيلا لوريا من جامعة تفت ، وروبرت ب . ماكلووبد من جامعة كورنل ، ومونرو ميللر من جامعة كولورادو ، وهنرى ا • موراى من جامعة هارفارد ، وهارولد بروشانسكى من جامعة سيتى ـ نيويورك ، وبرنارد ف • رايس من مركز الدراسات العليا للصحة العقلية ، وميلتون روكيتش من جامعة ولاية ميتشيجان ، وجون ج . سوليفان من جامعة نيويورك ، و هـ.ا ويتكين من جامعة ستيت ـ نيويورك » •

ولقد حرصنا على عرض تلك الاسماء جميعا لسببين : الاول انها تشير بوضوح الى أن المنتمين الى « منظمة علماء النفس الامريكيين من اجل النضال الاجتماعى » ينتمون الى كافة اتجاهات ومدارس وفروع علم النفس تقريبا . منهم علماء النفس الاجتماعى ، وعلماء نفس الطفل ، ومنهم ابناء مدرسة التحليل النفسى ، وأصحاب نظريات شهيرة فى الشخصية والقياس السيكلوجى • اما السبب الثانى فهو أن هؤلاء العلماء لا ينتمون الى جامعة واحدة ولا الى منطقة جغرافية واحدة فى الولايات المتحدة • والسببين معا يشيران بوضوح الى مدى شمول واتساع حركة تلك المنظمة • وبالفعل فلقد انعقدت مؤتمرات مماثلة لمؤتمر نيويورك فى عديد من الجامعات الاخرى ، من لوس انجيلوس ، وكاليفورنيا ، وايوجين واوريجون ، الى

شيكاغو ، والينوى ، وبوسطن ، وماساشوستس ، وواشنطون ، وكولومبيا ، والى روثرفورد ، ونيوجرسى ، ونيو هافن ، وكونكتيكت .

جهاز تكنولوجى صناعى

يفلت من السيطرة

كانت الندوة الصباحية للمؤتمر بعنوان « حرب فيتنام » المظهر المرضى الذى تعانى منه الولايات المتحدة . وقد ضمت الندوة عددا من علماء النفس المعروفين ، الذين كرسوا وما زالوا يكرسون الكثير من وقتهم فكرا ونضالا من أجل المشكلات المتعلقة بالحرب الفيتنامية .

كان اول المتحدثين فى الندوة هو مورتون دويتش استاذ علم النفس بجامعة كولومبيا والمتخصص فى ديناميات الجماعة والعلاج النفسى وقد عرض وجهة نظره قائلا « يبدو لى أن ما يميز موقفنا هو أننا قد طورنا الجهاز التكنولوجى الصناعى الهائل بدرجة تمكننا — اذا ما احسنا استخدامه — من تحرير العالم من الجوع ، وتحرير الانسان من الشقاء . ولكن ذلك الجهاز لم يعد فى وسعنا السيطرة عليه ، ولم يعد فى خدمة الحاجات الانسانية ، لقد أصبحت الحاجة الانسانية تتشكل لكى تلائمه . وهكذا فقد خلقنا بالفعل ما يميز مناخ مجتمعنا المعاصر من تفش للقلق ولعدم الاستقرار وللاحساس بالعجز . ان الحرب تخلق أولئك الذين يفتقدون أية سيطرة حقيقية على بيئتهم أو على المجريات الرئيسية لحياتهم .

ويعقب ا . روى جون استاذ علم النفس الصناعى قائلا « فيما قاله الدكتور دويتش ما يشير الى أن مصدر مشكلتنا انما يكمن فى تطويرنا للتكنولوجيا . وأظن ان ذلك أمر ثانوى تماما . وانى اميل الى تشخيص المشكلة باعتبارها مشكلة مجتمع مريض . وان ذلك المرض يتسبب فى اثارة وايلام جوانب معينة من المجتمع أكثر من غيرها . فهو يتسبب فى اثارة الشباب الذين لا يرون لحياتهم معنى ، وفى اثارة الزنوج الذين لا يرون سوى البؤس والشقاء . وهؤلاء هم الذين يقاتلون المرض ويواجهونه ، وتلك علامة على الصحة . ولكن مشاكلنا ترجع حقيقة الى أسباب متعددة . فمنذ الحرب العالمية الثانية ومقاليد توجيه امور ذلك المجتمع فى أيدى اقلية صغيرة ضخمت من حجم المخاطر الخارجية التى تتهددنا ، ومن ضرورة التحرك لمواجهتها مما يجعل الامر فيما يبدو لى أشبه بحالة البرانويا » .

اما ستيفان كوروفر الاستاذ بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا ، والمتخصص فى علم النفس الفسيولوجى ، فينظر الى الامر من زاوية مختلفة قائلا « لم تعد الحرب هى الكفيلة بالمحافظة على ازدهار جهاز الدولة . وازدهار جهاز الدولة يعتمد حاليا على الاستعدادات للحرب ، وبالتحديد على مقتضيات ما يسمى بالحروب المحدودة . وذلك هو السبب فيما نعانيه من ضياع للامكانيات الاقتصادية الهائلة للولايات المتحدة فى سبيل ذلك الحفاظ على استمرار ازدهار جهاز الدولة من خلال الاستعداد للحرب .

ويتناول روبرت هولت استاذ علم النفس فى جامعة بيويورت والمتخصص فى قياس الشخصية افكار زملائه معقبا بقوله « اخشى أن يكون الدكتور جون قد اقتفى خطى الكثيرين من زملائنا الاطباء العقليين فى استخدام مصطلحات مثل المرضى والبارانوما مما قد يوحى بأن ثمة شيئا مرض فى المجتمع نفسه . واعتقد ان الدكتور كوروفر قد طرح بعض حقائق بالغة الفائدة والاقناع ، وهى تشير الى أن الدافع الكامن وراء ذلك الاتجاه نحو التركيز الشديد على الدفاع فى مواقف يكون فيها المرء قويا بالفعل — وهو السلوك المميز لحالات البارانويا — انما هو دافع اقتصادى فى جوهره . بمعنى أن القوى غير المنظورة التى تحركه انما تتمثل فى دافع الربح لدى صانع الاسلحة الذى يحتل مكانة مرموقة فى المجتمع » .

أما روبرت آلن المعالج النفسى واستاذ علم النفس والتربية فى جامعة ميامى فانه يقدم نقدا ذاتيا ثوريا حقيقيا حين يقول « لا أظن ان الذين يشاركون بوعى فى قتل تلك الاعداد الهائلة من الرجال ، والنساء والاطفال فى فيتنام سوى قلة ضئيلة من أبناء هذا الوطن . ورغم ذلك فاننا نحن جميعا الذين اعددنا لذلك الذى يحدث . ان ما يجرى اليوم انما يتم باسمنا وبتدعيمنا وبدولاراتنا التى ندفعها كضرائب ، وبأصواتنا الانتخابية ، ولم يكن ممكنا أن يحدث كل ذلك بدوننا . انه لم يكن ليحدث الا اذا اعددنا الناس ، واعددناهم جيدا ، بحيث يرون انفسهم مجرد اشياء تؤثر فى أشياء اخرى . واعتقد أن علماء النفس ، والاطباء العقليين ، واولئك المشتغلين بالعلوم الانسانية قد اسهموا اسهاما جوهريا فى هذه العملية ، وذلك عن طريقين : الاول من خلال المشاركة الفعلية . والثانى وهو الاكثر أهمية من خلال الصمت والاذعان .

حركة ثورية فى العلوم الانسانية

وكان موضوع الندوة المسائية « النضالات من اجل التحرر » معناها ، ومشاكلها وفرص نجاحها ، ويصف فيورشتاين من ضمتهم الندوة بأنهم « من الذين لم يعطوا لقضايا نضالهم وقتهم ،

وطاقتهم ، وجهدهم فحسب ، بل الذين كثيرا ما غامروا بحريتهم الشخصية وبسلامة اجسامهم ، بل وحتى بحياتهم نفسها فى بعض الاحيان »

ولقد اتفق المتحدثون فى تلك الندوة على ادانة حرب فيتنام ، وعلى ادانة الممارسات غير العادلة والتمييزية السائده فى المؤسسات الاجتماعية القائمة • ولكنهم اختلفوا كثيرا فى اقتراحاتهم للحلول التى تراوحت من التغييرات الفردية الجزئية الى ضرورة تغيير النظام بكامله تغييرا ثوريا •

واستهل الندوة **فرانك كولينز** وهو من علماء النفس العاملين فى مجال الخدمة المدرسية ومن المتخصصين فى سيكولوجية النمو بكلمة بالغة العنف قال فيها « انكم يا علماء النفس قد بعتم انفسكم لشارع ماديسون افينيو • لقد بعتم انفسكم لكى يتمكن الجيش من دفع الشبان الصغار الى الشعور بانهم على ما يرام بعد استدعائهم للتجنيد ووضعهم انفسهم كلية فى خدمة العسكرية • لقد آن الوقت بالنسبة لنا جميعا لكى ندخل مرحلة سؤال النفس لنتبين ما الذى نفعله ، ولماذا نفعله ، ولنتأكد من أن ما نفعله يسهم حقا فى بناء عالم أفضل » •

ولم تكن هذه الندوة قاصرة على علماء النفس المتخصصين ، فلقد ضمت عددا من المهنيين والطلبة . ولقد وقف الطالب جيف جوردون قائلا « اننى اريد السلطة • لا أريدها لنفسى ، بل اريدها باعتبارى جزءا من الجماهير الشعبية فى هذا العالم بأسره • اعتقد أن العالم ينقسم الى معسكرين رئيسيين : معسكر العمال ، ومعسكر مضطهديهم • واظن انه يجب على علماء النفس التحالف مع الطبقة العاملة ومن خلال ذلك التحالف يمكن الاستيلاء على السلطة وتدمير المضطهدين • ان ذلك يعنى أنكم تقاتلون من أجل السلطة ليس على الناس أن يتوافقوا مع هذا المجتمع بل يجب عليهم القضاء عليه •

واشتركت فى المناقشة **فلورانس كيندى** وهى محامية مدنية ، فقالت « اذا ما كان الجانب الاكبر من النقود يذهب الى غير مكانه الصحيح كفيتنام مثلا ، فانها لمضيعة للوقت أن نجلس لنتحدث بحثا عن المكان الصحيح الذى ينبغى أن تذهب اليه تلك النقود • ان علينا جميعا أن ننصرف الى البحث عن وسيلة تمكننا من قلب النظام بحيث يمكن أن تذهب الـ ٣٠ بليون دولار التى يأخذها البنتاجون الى مكان آخر أكثر ملاءمة • وانى لامل شخصيا أن يتزايد سعى الطلبة نحو السلطة أكثر فأكثر ، وأن يستخدموا قوتهم فى قلب ذلك النظام الذى يخضعهم للقمع ولغسيل المخ » •

ويتحدث الطالب **فيل براون** قائلا « ان جذور الاعراض المرضية انما تكمن فى الرأسمالية وشكلها الامبريالى المتطور • ان مناقشة الاشياء قد تكون امرا رائعا ، ولكنكم ما لم تضعوا كل ذلك فى صيغته الاقتصادية والسياسية فانه يصبح بلا جدوى على الاطلاق واذا ما كنا سيكلوجيون حقا ، فلنتجمع ولننظر معا الى الامور نظرة شاملة • ان الحل هو اسقاط النظام عن طريق الثورة ، وجعل المجتمع صالحا للحياة ، بدلا من البقاء فى مجتمع غير صالح للحياة • ان على المجتمع أن يتوافق مع الناس وليس العكس •

ويختتم المؤتمر اعماله وينفض اعضاءه، ويختتم **فيورشتاين** مقاله قائلا « ما زلنا فى حاجة الى تقييم دقيق لذلك المؤتمر التاريخى • ولعله من السابق لاوانه تقييم نتائجه تقييما دقيقا ، فليس لدينا حاليا سوى اسماء ما يقرب من ٢٥٠ مساهما من علماء وطلبة علم النفس الذين ابدوا تفهما للحاجة الى الربط الوثيق بين القضايا الاجتماعية الهامة كحرب فيتنام وبين القضايا والمشكلات السيكلوجية والاجتماعية الاخرى ، وللحاجة الى وضع معرفتهم فى خدمة الاستخدام البناء والمسئول من أجل صالح الجماهير • وفى وقت كتابة هذا المقال تستمر مجموعات دراسية عديدة فى مناقشاتها ، أو فى وضع الخطط لتنظيم قاداتها ، أو فى تنفيذ مشروعات، تتراوح من معارضة نظام الصواريخ المضادة للصواريخ الى النضال ضد العنصرية فى المدارس وفى المجتمع » •

بقيت ملاحظات ثلاث :

اولا : ان تلك الحركة الثورية داخل صفوف علماء النفس الامريكيين لا يمكن فهمها اطلاقا بعيدا عن النضال الثورى المسلح للشعب الفيتنامى • ذلك النضال الذى مازال يستنزف الولايات المتحدة دما ومالا • فمن الاحساس بعبء ذلك الاستنزاف انطلقت تلك الحركة الثورية وغيرها أيضا •

ثانيا : ان تلك الحركة الثورية داخل صفوف علماء النفس الامريكيين انما هى جزء من حركة ثورية أوسع نطاقا تشمل العلوم الانسانية جميعا وتسير على نفس النهج تقريبا •

ثالثا : ان ذلك كله لايعنى بحال ان أعضاء نظمة علماء النفس الامريكيين من أجل النضال الاجتماعى يمثلون اتجاه علماء النفس الامريكيين جميعا • فهم ليسوا سوى قلة ضئيلة منهم على اى حال ولكنها قلة تمثل ظاهرة تتعارض مع ما يمكن أن يكون لدى بعضنا من اتجاه نحو اطلاق التعميمات الشاملة على علم النفس الامريكى كله وعلى علماء النفس الامريكيين جميعا •